



وهرة

64

المطاردة الشاقة



دار الفنون

سعيد عبد العزيز

مغامرات مومن



مغامرات عجيبة جدا

- سلسلة مليئة بالإثارة والتشويق
- أغرب الرحلات والمفارقات
- تجمع بين المتعة والمعرفة
- لا غنى عنها في الرحلات والبيت والمواصلات



دار النجوم

٢ شارع منشا - محرم بك - الإسكندرية

تليفاكس: ٣٩٠١٩١٤ - ٣٩٠٧٩٩٨ / ٣

مغامرات مؤمن

[٦٤]

جوهرة المطاردة الشاقة

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى

رقم الإيداع القانوني: ٢٠٠٦/٢٢٠٢

الترقيم الدولي: 1-390-253-977-B.S.B.N

دار النجوة للطبع والنشر والتوزيع

٢ شارع منشا - محرم بك - الإسكندرية
تليفون: ٢٩٠١٩١٤ - فاكس: ٥٩٠١٦٩٥

جوهرة المطاردة الشاقة

تأليف:

علاء الدين طعيمة

رسوم:

عبد الرحمن بكر

دار النخبة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فى يوم من الأيام كان بطلنا مؤمن ينعم بفترة من الراحة.. بعد أن نجح أخيراً فى العودة إلى بيته والتماس الحنان والبركة من أمه التى دائماً تفتقده أثناء مغامراته المثيرة هنا وهناك.

ويبدو أنه دائماً على موعد مع المغامرة.. ولو أنه فى الغالب يخرج من القاهرة سعياً وراء جواهر التاج.. ومخترقاً حجب الزمن فى بعض الأحيان أو عابراً حواجز المكان من بحار وصحارى وغابات.

لكن مع ذلك من الممكن أن تطارده المغامرات وهو فى القاهرة.. وتقض مضجعه... وتخرجه من سكونه ودعته.

كان الوقت ليلاً.. وقد أنهى لتوه عبادته الليلية
كما ينبغي لأى مسلم يؤمن بالله.

فهو يقوم الليل.. ثم يجلس مستمداً بالاستغفار
فى السَّحَر.. ويستلقى وقتاً قليلاً حتى يؤذن للفجر..
فيخرج للمسجد متوكلاً على الله.

ولكنه فى تلك الليلة لم يشعر بالركون إلى
النوم.. بل وكأنه كان مؤرقاً.. وضع رأسه على
وسادته.. وأغمض جفنيه.. لكن عقله أبى
الانصراف.. وظل فى وعيه.. يتساءل.. ماذا يجعلنى
لا أنام.. ومضت الدقائق.. وهو ما بين نوم ويقظة..
شارداً فى ذكرياته.

ولكن.. هل يتصور أحد أن (مؤمن) الذى أصبح
بطلاً كبيراً.. يمكن أن يقفز إلى بيته لص فى عمق
الليل.. يريد أن يسرقه؟

لا ندرى لماذا لديه دائماً حاسة ضد الأخطار..
وكيف يشعر بالتوتر والقلق إذا ما دنا منه خوف أو
كارثة.. هذا فضل الله يؤتيه من شاء.. إنه الاستعداد
الفطرى الذى يمنحه الله لكل فرد كى يصبح مؤهلاً
لما خلق له.

لكن.. ماذا حدث فى تلك الليلة لمؤمن.. وماذا
ترتب على ذلك من أحداث مثيرة بمتابعتها فى هذه
القصة.

أحس مؤمن بصوت يشبه «خروشة» على سور

البيت... ظن في البدء أنها قطعة أو ابن عرس.. ثم
سمع (دقة) تؤكد أن شيئاً ثقیلاً.. ليس في وزن قطعة
أو فأر أو حتى كلب.. قفز إلى حوش البيت.

لم يشأ أن يوقظ والدته.. فقط قام بهدوء وحذر
شديدين.. وبفطرة الإنسان الذي يدافع عن بيته
وعرضه.. تقدم إلى ركن الحجرة حيث كان يترك
جراب السيف.

سحب السيف بهدوء.. وشهره أمامه.. وفتح
النافذة فتحة صغيرة.. أطل منها على الحوش..
يراقب في ضوء القمر.. ما عسى أن يمثل خطراً عليه
وعلى بيته.

لم ير أحداً.. نظر هنا وهناك.. أمعن وبخلق.. لم
ير شيئاً.. انتظر فترة وهو يكتم أنفاسه.. وانتظر وقتاً

أطول.. لكن لم يتغير شيء.. تنفس الصعداء.. وظن أنه كان يتهياً.. عاد وأغلق النافذة.. ووضع السيف.. ثم جلس على الفراش يفكر.. ما عساه أن يكون؟

استلقى من جديد.. وهو يحاول إبعاد هذه الفكرة من رأسه.. فكل شيء الآن على ما يرام.. وقبل أن يغمض جفنيه.. سمع هذه المرة صوت أقدام تدب أمام النافذة.

فانتفض فجأة... ولم يتوان.. ولم يتصرف بحذر وهدوء.. بل سحب السيف بقوة وفتح النافذة بشدة.. وشهر سيفه فإذا بالسيف يُثبت رجلاً وقف متسماً من الخوف:

- ارحمنى يا سيدى، بالله عليك.

- لص؟!

- لا.. لست لصاً ياسيدى.. أرجوك.. لست لصاً.

قفز من النافذة إليه، وأمره أن يستدير ويقعد أرضاً.. ووضع نصل السيف على ظهره:

- أية حركة... سوف يعبر هذا السيف من ظهرك إلى خارج صدرك.

- ياسيدى بالله عليك.. أنا لست لصاً.. والله العظيم.

- وبماذا تسمى نفسك إذًا... زائر أم ضيف أم ماذا..

بماذا تسمى الذى يفتح بيوت الناس فى عمق

الليل من فوق السور ويتسلل إلى أعراضهم..
وممتلكاتهم.

- ياسيدى.. بالله عليك.. سمنى ما شئت.. إلا أن
أكون لصاً.. ياسيدى.. انظر إلى ثيابى.. هل هذه
ثياب لص من اللصوص.

كان الرجل يرتدى ملابس تدل على التنعم
والثراء، رغم أنه كان مغبراً مكفهراً عليه سيما
المسافر. وحر مؤمن فى ذلك.. ولكنه دائماً كان
يتوقع الألاعيب والخدع من أمثال من يقابلهم فى
مغامراته:

-قد تكون لصاً مخادعاً.. ترتدى ثياب النبلاء وفى
قلبك خسة وندالة ووضاعة.

- لا والله.. أهكذا تفعل بمن لجأ إليك.. يحتمى
بحماك !

- وأى لجوء هذا الذى من فوق السور.. اسمع..
ليس لى حكم فيك.. وبيت الشرطة موجود.. قم
معى سأسلمك لصاحب الشرطة .. وهو الذى
سيتولى معرفة الحقيقة.. فإن كنت بريئاً وإلا..
فالسجن والعقاب الأليم جزاؤك.

- أرجوك.. اسمعنى قبل أن تسلمنى... اسمعنى.

- لا.. لن أسمعك.. وهيا.. هيا قم.. قبل أن تستيقظ
أمى من نومها فيصيبها الفزع من موقفك هذا.

- انتظر.. لا تخرجنى من هنا.. سيقتلوننى. وقبل أن
يرد عليه.. إذا بصخب وشغب وحركة كبيرة

خارج البيت... وفجأة إذا بطرق شديد على باب
البيت

- لا تفتح.. إياك أن تفتح.. لو فتحت سيقتلوننى.

- يجب أن أفتح.

- إنى لذت بك.. وأطلب حمايتك أيها الغلام.

توجه مؤمن لباب البيت وهو يحذر الضيف

الغريب:

- إياك أن تتحرك أثناء فتحى للباب.. وإلا.. وإلا

أنت لا تعرف قدرتى على تصويب السيف من

بعيد.

- لا تفتح.. لا تفتح.

ولم يعره انتباهه... وذهب للبواب وفتح .. فإذا
 برجال وجوههم كوجوه الشر.. وعيونهم تكاد
 تقذف باللهب.. حتى أن القلب يصاب من رؤيتهم
 بالرعب، وصاح أكبرهم:

- نحن نبحث عن رجل فر هارباً إلى هذه البلدة..
 هل أتى إليكم هنا:

- رجل.. أى رجل؟

- هل رأيته أم لا.. نحن نسأل وأنت تجيب.. فقط.

كان على وشك إخبارهم بالرجل الذى يبحثون
 عنه... فلما رأى صلفهم وتكبرهم وعيتهم.. قرر
 أن يؤمن الرجل ويحمى حياته بعد أن لاذ به..



وأدرك أن تضليل هؤلاء الأشرار ولو لفترة حتى يعرف الحقيقة من الأمور الواجبة.. فقد يؤذى رجلاً بريئاً ويعين ظالماً على مظلوم:

- لم أر أحداً.. ولا تزعجوننا مرة أخرى.. ابتعدوا من هنا. نظر الرجال لل سيف الذى بيده... وأحسوا أنه واع لما يقول.. وأنه يعنى ما يقصد:

- حسناً.. نرجوك إذا رأيت رجلاً يبدو عليه الثراء.. ومكفهر الوجه والشعر واللحية.. فاقبض عليه... نحن نريده حياً أو ميتاً.

وانصرفوا من فورهم.. وأغلق الباب.. وأخفض السيف.. وعاد إلى الرجل الذى كاد يتجمد من الخوف.. فمد إليه يده.. وعاونه فى القيام.. وأدخله

إلى حجرته.. وأسرع فأحضر إليه طعامًا وشرابًا..
وأحسن ضيافته:

- معذرة يا أخى.. طريقة دخولك للبيت تثير حفيظة
أى إنسان وتدفعه للشك فى مآربك.

- لم يكن أمامى إلا ذلك... ولو تأخرت قليلا دون
القفز إلى بيتكم لتمكنوا منى وقتلوني شر قتلة..
لكن.. ما الذى جعلك تضللهم.. ولم تسلمنى
لهم.. إنى لأعجب لك..

ضحك مؤمن وقال:

- ما كان لمؤمن أن يسلم إنسانا لاذ بحماه... فمن
استغاث بنا أغثناه.. ومن لاذ بنا أمناه وحميناه..

إلى أن.. إلى أن يظهر الحق.. وما إكرامى لك الآن
لمعرفتى وإدراكى بأنك لست لصاً.. والآن أريد أن
أعرف الحقيقة حتى يرتاح قلبى.

تنهد الرجل وقال:

- أنا اسمى ضاحى أبو الفضل.. من بلاد الشام..
أقصد.. أعيش الآن فى بلاد الشام.. لكننى مصرى
الأصل.. من الصعيد الجنوبى.. وأعمل تاجراً..
لكن.. الآن أنا هارب من الموت.

- سبحان الله.. قل لى يا أخ ضاحى.. ما الذى جرك
لذلك.

زفر ضاحى زفرة حزن وألم وقال:

- الثأر ياسيدى.

- اسمى مؤمن.

- الثأر... يامؤمن..

- أعود بالله.. وكيف حدث ذلك؟

- هذه قصة قديمة يا أخى.. فى قربتنا نفس
المعتقدات والأخلاق التى تشيع فى كل أرجاء
الصعيد.. الثأر فكرة تسيطر على العقول سيطرة
عمياء.. ولا تجد أحداً يمكنه التفاهم فى هذا الشأن..
والمشكلة ليست عميقة كما يتخيل البعض بالنسبة
لحالتى.. فعائلة الضوى لم يكن بينها وبين والدى
رحمة الله عليه أحقاد قديمة... ولا يكنُ بعضنا
للآخر إلا كل احترام وتقدير.. لكن.. حدث ذات
يوم.. أن هاجم لص خطير أحد شوارع القرية

بالليل.. وكان أبى يمر بالصدفة.. وقرر أن يتخلص منه ويخلص القرية من شروره.. فأخرج خنجره وصوبه تجاهه.. لكن اللص انحرف فأصاب الخنجر شاباً من شباب عائلة الضوى فأرداه قتيلاً.. ومن هنا بدأت العداوة بين أبى وبين عمدة العائلة.

- رغم أنه كان يريد فعل الخير بقتل الشرير... ولم يقصد ولم يتعمد قتل الشاب.

- هذا كله لا وزن له عند أهل الجنوب.. حتى القتل الخطأ.. يطلب فيه الثأر.. لذلك قرروا الانتظار حتى أكبر وأصبح شاباً مثل فقيدهم ثم يقتلوننى ليحرقوا قلب أبى على.

- والله إنها لقصة غريبة يا صاحى.

- نعم... لذلك بعد وفاة والدى.. قررت قبل البلوغ أن أرحل عن بلادنا كلها.. وسافرت إلى بلاد الشام.. وعملت بائعاً متواضعاً فى السوق.. حتى فتح الله علىّ وفتحت تجارتي.. وأصبحت من أكبر تجار الشام.. لكن عائلة الضوى لم ينسونى... وبعثوا رجالهم فى كل الأقطار يبحثون عني.

- وهل عثروا عليك هناك؟

- لا.. ما كان يخطر ببال أحد مكاني.. لكننى اشتقت إلى أمى التى تعيش وحيدة مع كبر سنها.. فقلت لها أن تأتى لتعيش معى فى الشام.. لكنها أبت أن تغادر مصر بأى حال من الأحوال وأرسلت تخبرنى أنها تريد أن ترانى.. ولو هنا.. فى القاهرة.

- إذا أنت قادم من الشام توّاً؟.

- نعم... وللأسف.. قاموا بمراقبة أُمى لإحساسهم أنها ستحاول مقابلتى.. ولما التقيت بها هنا فى أحد الفنادق إذا بهم يهاجمون الفندق يا مؤمن.. نصحتنى أُمى بالفرار.. وأخبرتني أنها سترجع للصيد مسرعة... وها هم فى أثرى.. لا يدعوننى.

- شىء خطير يا صاحى.. وماذا أنت فاعل الآن؟.

- لا أدرى يا مؤمن.. لا أدرى.. يجب أن أعود إلى الشام مرة أخرى.. هناك لن يعرفنى أحد.

- إذا.. اطمئن يا أخى.. يبدو أنك فى حاجة الآن إلى النوم..

مع جزيل شكرى لعرفانك.. أنا أتمنى لو نمت
لساعة واحدة فى أمان... لكن بقية الأمر.. لا أقول
فيه إلا حسبى الله ونعم الوكيل.

أحسننت.. والآن نم.. وفى الصباح لنا حديث
آخر.

- وأنت.. أالن تنام.

- لا.. بعد قليل.. سيؤذن للفجر.. وعندما أصلى
يمكننى بعدها أن أنام.

ومضى الليل وزقزقت العصفير ومر من الصباح
ردحاً.. فوجئت أم مؤمن برجل ينام فى فراشه بينما
هو ينام على الأرض:

- مؤمن.. يا مؤمن.

- أمى.. إنه ضاحى.. ضيفنا يا أمى.. جاءنا بالليل... هلا تعدين لنا فطوراً.

- أحسن فطور للضيف...

قام ضاحى يتلفت وما زال الخوف لم يرح قلبه..
وبعدما تناولا الفطور.. أبقاه مؤمن فى البيت وخرج
يستطلع الحال، فرأى أفراد عائلة الضوى يطوفون
بالمدينة ما يزالون.

وعاد إلى البيت مخبراً صاحبه:

- يا ضاحى... لا أنصحك بالخروج.. فهم يترصدون
بك على كل ناصية.

- وما العمل يا مؤمن.. هل أظل حبيساً عندك؟

- وماذا فيها يا رجل.. نحن والله نكرم الضيف.
- لا أقصد.. طاب بيتك وعمره الله بالبركة.. لكن..
- وانتهى النقاش القصير بمكوث ضاحى عند مؤمن
- لأيام.. وكل يوم يمر يزداد تربص الطالبين لضاخى
- حتى فاض الكيل به:
- مؤمن.. أريد أن أرحل من القاهرة.. لم أتعود
- الحبس هكذا.
- ما دمت مرتاحاً هنا... فانتظر يا ضاحى حتى
- ينصرف أهل الضوى.
- لا يا صديقى.. إن طيلة وجودى هنا فى مصر دون
- تمكنى من رؤية أمى والتمتع بقربها قد أعبى جداً.

- إذا.. ليست هناك مشكلة... اسمع.. سأذهب للصعيد وأحضر لك أمك.. لا تقلق.

- لا يا مؤمن.. لا... أمي امرأة عجوز... ولا تتحمل السفر مرتين متتاليتين.. وإنني لقلق عليها أشد القلق.. ويهيأ لي أن أراها فقط.. ثم أموت بعد ذلك..

- اسمع يا أخى.. إن أسلم حل لمشكلتك هو أن تفر إلى الصعيد.

-ماذا؟!!! ماذا تقول يا أخى.

- لو فكرت جيداً.. لعرفت أن أبعد فكرة لدى المطاردين لك هي عودتك لعقر دارهم.

يا لها من فكرة... لكن هى أيضاً بالغة الخطورة..
ومع ذلك فأنا أرحب بها يامؤمن.. أتعرف لماذا؟
لأننى بذلك سأرى أمى الحبيبة.. لكن.. لكن.

- أعرف أعرف.. تريد أن .. تريد أن ترتب للرحلة..
وتخشى أن يراك أحد فيبلغ عنك... اسمع..
سنذهب أنا وأنت متكرين.. ماذا قلت؟

- متكران؟.. كيف ذلك؟

- الجميع يعرف أنك فى ريعان الشباب.. فإذا رأى
الناس شيخاً هرمًا يدخل القرية فلن يأبه إليه أحد..
على الأقل لن يقولوا إنه هو ضاحى.

- أنت بارع الخيال.. أنت رائع.. كيف إذا سأصبح
شيخاً كبيراً.

- لا عليك.. سأذهب إلى السوق.. وسأحضر من هناك هذه المستلزمات..

هناك دكان يبيع ملابس وأدوات تنكرية لزوم هذه الحفلات التى يقيمها بعض المترفين.. سأرجع إليك بسرعة.. انتظرنى.

وقبل أن يخرج مؤمن مسرعاً استوقفه صاحبه:

- مؤمن.. انتظر.. هات لنفسك أنت أيضاً..

- أنا؟.. لماذا.. أنا لا يطاردنى أحد يا أخى.

- على العكس.. لقد رأوك... وطرقوا بابك.. وإذا

رأوك مرة أخرى فقد تشير شكوهم.. وساعتها

سيراقبونك.. وقد يفتضح الأمر.. وأدرك مؤمن

حكمة تفكير صاحبه.. وعاد من السوق ومعه

ملابس وأدوات تنكرية.. وما هي إلا ساعة حتى
كان يخرج من البيت شيخان هرمان فى ملابس
رثة وكل منهما يتكىء على عصا.. وأم مؤمن تنظر
إليهما وتضحك:

- يا لك من غلام يا مؤمن.

- إلى اللقاء يا أمى.. إنها مغامرة غريبة.. سأرجع من
الصعيد قريباً إن شاء الله.

ومرا بالشارع من أمام أفراد عائلة الضوى... ولم
يفطن لهما أحد... وارتعش ضاحى من الخوف:

- لا ترتعش يا صديقى... لا ترتعش حتى لا يفطنوا
لنا.

- ها ها ها.. بل يجب أن ترتعش أنت أيضاً..
أنسيت أننا عجوزان ترتعش مفاصلهما من كبر السن والمرض.
- يالمك من ماكر.. هيا بنا إلى الميناء.. سنستقل مركباً في النيل إلى الصعيد.
- هيا بنا... زال الخوف من قلبي.. يبدو أن فكرتك قد نجحت يامؤمن.
- تبدو في اللحية البيضاء والانحناء شيخاً بحق يا ضاحي.
- وأنت يامؤمن.. حيلتك جعلت منك هرمًا كأن الموت ينتظرك.

ظلا يضحكان وكلما مرا يقوم أحكما التمثيل
وقال مؤمن وهما على مشارف الميناء:

- لولا أن المسألة خطيرة وحياتك مهددة يا صاحى لما
قبلت أن أغير خلق الله.. ولكن يحتاج المرء إلى
الحيلة أحيانا لخداع الأعداء المتربصين به وبحياته.

ودخلا الميناء ووجدا سفينة شراعية على وشك
الإقلاع وعليها زحام من الناس فى طابور طويل..
وأحس صاحى بالقلق لذلك:

- السفينة عليها زحام شديد يا مؤمن... ما العمل؟
- لا شىء.. نقف فى الطابور.. فإن جاء دورنا..
وإلا انتظرنا السفينة التالية.

- السفينة التالية.. سنتنظر فى الميناء لباكر يا مؤمن..
انتظرنى هنا... معى مال وفير.

وتوجه ضاحى إلى (ريس) السفينة عند أول
الطابور، ورأى مؤمن أنه يخرج نقوداً ليعطيها له..
فجرى -ناسياً أنه فى مظهر عجوز لا يستطيع
الجرى- ثم منع ضاحى من إعطاء نقود للقبطان،
وجذبه بعيداً.. ونهره بشدة:

- ماذا كنت تفعل يا رجل... ماذا كنت تفعل؟

- ماذا بك يا مؤمن.. أنا سأعطيه مبلغاً من المال حتى
نتخطى هذا الطابور.

- اخسأ أيها العاصى.. أتعطى الرجل رشوة حتى
تأخذ حق غيرك.. ماذا بك.

- يامؤمن .. أنا تاجر... وكل أمورى تسير
بالرشوة... وهذا أمر عادى.

- لا... أبداً.. لن أسمح لك... إما أن تجزم وتتأكد
وتقتنع بأن الرشوة حرام، وإلا فلا أصحابك أبداً
منذ هذه اللحظة.

- ماذا بك يا مؤمن.. لا تتشدد يا أخى.

- تطبيق شرع الله فى الأرض لا يسمى تشدداً.. ألم
تسمع قول الله تعالى ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم
بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من
أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون﴾ .. ومعناه ألا
تعطى حاكماً رشوة حتى تقتطع لنفسك حقاً وهو

فى الأصل لغيرك.. وقال رسول الله ﷺ: «لعن الله الراشى والمرتشى».

- لاحول ولا قوة إلا بالله.. وكأننى أسمع هذا الكلام لأول مرة.. معك حق يا مؤمن.. كنت سأخذ حق أحد من هؤلاء بمالى... لكن .. لكن يا مؤمن.. أحياناً يرفض السلطان أن يؤدى لى مصلحتى حتى أضع له رشوة... وتتعطل بذلك أمورى.. ولا آخذ حق أحد. إذا دفعت له حتى أنجز مصالحى المعطلة.. فماذا يكون الأمر عندئذ ؟

- سيكون عليه هو وحده الوزر.. وهذه لا تسمى رشوة.. بل تسمى ابتزازاً منه لك حتى يؤدى لك حَقك ومصلحتك.

ونظر ضاحى جهة باب الميناء وصرخ فى مؤمن:

- مؤمن.. انظر من القادم.. إنهم هم... عائلة الضوى... جاءوا خلفنا.

- يا إلهى.. لا بد أنهم فطنوا لحيلتنا.

- والله لقد ضعنا.. النجدة.. إنهم يتجهون نحونا.

- تماسك... إياك أن تفضحنا.. إنهم.. إنهم يتجهون ناحية السفينة.

ومر رجال الضوى كلهم من أمامهما وهما يرتعدان.. ولكن توجهوا إلى السفينة مباشرة، ويبدو أنهم قدموا رشوة كبيرة.. فقد أفسح لهم الطريق وصعدوا إلى ظهرها بكل سهولة:

- الحمد لله.. الحمد لله.. لم يفطنوا لنا ولم يرونا يامؤمن.

- أ رأيت .. أ رأيت كم نجانا الله منهم يا ضاحى ..
أ رأيت لو قدمت رشوة يا أخى .. لكنا الآن معهم
على السفينة .. ولانكشف أمرنا.

- نعم .. يا سبحان الله ... مهما بدا للمرء أن الحرام
يوصله لغرضه، إلا أن طريق الحلال هو النجاة.
ولو ظهرت الحكمة بعد حين.

- الحمد لله حمداً كثيراً وشكراً طيباً مباركاً فيه.

- والآن ماذا نفعل.

- لا شىء .. نجانا الله منهم هنا .. وسينجيننا منهم
بإذن الله فى الصعيد .. سننتظر لسفينة الغد ..
ونقف فى أول الطابور.

ومرت الليلة فى القاهرة .. وغادرت السفينة

الأولى، وفي الصباح نجحنا في اعتلاء السفينة الثانية،
وأراد ضاحي أن يخلع زى ولحية الشيخ:

- لا.. إياك.. مازلنا في خطر حتى نصل ونعود..

- لكن أتمنى ألا أهاجر مرة أخرى.. وقلبي يحدثني
أننى لن أرجع إلى الشام مرة أخرى، وأعتقد أن
ذلك معناه موتى هنا فى أقرب وقت.

- لا تكن متشائماً يا ضاحي.. ها قد أقلعت السفينة.

كان كل من على السفينة يعرفون أن (مؤمن
وضاحي) ما هما إلا شيخان.. فكانت شهامة الناس
فى معاونتهما فى كل أمورهما تجعل منهما كاتمين
للمضحك باستمرار، وبعد الإبحار فى النهر لعدة أيام
صاح قبطان السفينة:

- استعدوا.. بعد ساعة سنرسو فى القرية القادمة لمدة ليلة... للراحة .

- همس ضاحى لمؤمن:

- ما الداعى لهذه الليلة يامؤمن.

- لا عليك.. هذا أمر طبيعى يا ضاحى.. أى رحلة لا بد لها من سكون وراحة لبعض الوقت، وبعد قليل عاد ضاحى يرتجف وهو ينظر للمرسى الذى سيقفون عنده:

- مؤمن.. الحقنى يا حبيبى.. انظر للمرسى.. انظر للسفينة التى تقف عنده.

- يا إلهى.. إنها السفينة الأولى التى اعتلاها رجال الضوى.



- ألم أقل لك... حانت نهايتى والله.

- ما لك يا رجل ترتعد هكذا.. نحن لن نغادر
السفينة.. سنبيت بها الليلة ولن يرانا أحد.

- آه... أتمنى ألا يرانا أحد...

وجاء الليل وغادر كل الركاب السفينة للتجول
فى القرية وتجديد النشاط للرحلة باكرًا.. إلا (مؤمن
وضاحى).. فقد لازما السفينة مختبئين فى عنبر
النوم.

أما رجال الضوى فكانوا وما يزالون يبحثون عن
ضاحى.. ويسألون كل من قابلوه حتى أنهم سألوا
قبطان السفينة الثانية فقال لهم:

- والله.. أنا لم أر أحداً... هل سألتهم ركاب السفينة.

- سألتناهم كلهم.. ولكن.

- لا... مازال هناك من الركاب فى السفينة.. هناك شيخان.

- هل تأذن لنا بالصعود إليهما وسؤالهما.

- بكل سرور.. على الرحب والسعة.

وكان مؤمن وضاحى فى هذا العنبر وحدهما قد خلع كل واحد لحيته المستعارة بسبب ارتفاع حرارة الجو.. واستلقى كل منهما على فراشه.. فإذا صوت أرجل تدب تتجه ناحية العنبر:

- ضاحى.. هناك من يقصد العنبر...

- أهلا وسهلاً به..

- ضع اللحية المستعارة يا رجل... أسرع.

- يا إلهى...

ووضعا اللحيتين.. وفجأة انفتح باب العنبر وجاء
رجال الضوى وأحس ضاحى بقلبه يطير شعاعاً...
وبطنه قد انهار تماسكها... أما مؤمن فقد مد يده تحت
ملابسه يتحسس مقبض السيف.

- وفوجئاً بأن الرجال يلقون عليهما السلام من بعيد:

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.. تماسك

يا ضاحى.. إنهم مازالوا على عماهم:

- وصافح كبيرهم بحرارة وجلس أمامهم وجلس

كل الرجال.. وكان ضاحي يقول في نفسه:

- يا لها من سخرية لاذعة... قتلتى يجلسون معنا

وهم يضحكون:

- سيدى الشيخ.. ماذا قلت؟.. ألم تر رجلاً بهذه

المواصفات؟

قال مؤمن:

- يا ولدى... إن نظرى ضعيف... أنا بالكاد أراك..

فكيف لى أن أعرف صاحبك الذى تبحث عنه..

قلت لى ما اسمه؟

- الضاحي.

ارتعدت أوصال الضاحي.. وحاول أن يتماسك
ويتجلد ولكن (مؤمن) استغل الفرصة:

- ولماذا تبحثون عنه يا ولدى.. فقط من أجل الثأر.

- قلوبنا لن تهدأ ودماؤنا ستظل تغلى وتفور حتى
نجدته ونذبحه.

- يا أخى... أقصد.. يا ولدى.. ماذا تركتم للكفار
إذا... إذا كان المسلم يفعل هذا بأخيه المسلم؟

- هذا هو القصاص.. يجب أن تقتص منه.

- يا ولدى.. ألم تسمع قول الله تعالى عن العفو
قائلاً.. ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس
والله يحب المحسنين﴾ وقال أيضاً : ﴿ولمن صبر

وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ﴿ أين الرحمة
يا ولدى .. وأنتم أيها الرجال .. العفو والصفح ..
ودعوا هذه العادات السيئة.

صاح كبير رجال الضوى:

- ماذا بك أيها الشيخ .. من سمع كلامك قال إنك
تدافع عن الضاحى .. لا أدري أين رأيتك قبل
ذلك ... وجهك ليس غريباً على ...

- أ...أ...أه .. رأيتك ورأيتنى فى الميناء يا ولدى ..

- الميناء؟ .. نعم ... أعتقد ذلك ... خلاصة الموضوع
أيها الشيخ .. هذا يدل على أنك أو صاحبك الهرم
هذا لم تريا الضاحى.

- دعك من هذا الأمر يا ولدى إذا وأطلق حمامات السلام.. وما شأنك أنت أيها الشيخ الخرف.

- لماذا يؤخذ شاب بذنوب والده الذي كان يطارد اللصوص.

- فوجئ الرجال بهذا الكلام.. وساد صمت مهيب.. وكانت حيرة بلهاء على الجميع.. من أين لهذا الشيخ أن يعرف بأمر قصة الضاحي ووالده..

ولكن (مؤمن) أحس بسرعة بما فعله بدون قصد.. وصاح في الضاحي.

- انكشفنا يا ضاحي.. أسرع.

وفي ذهول من رجال الضوى رأوا (مؤمن والضاحي).... الشيخين المريضين.. يقفزان في

الهواء ويجريان فوق الأسرة وتقع منهما لحيتهما..
ويفران خارج العنبر:

- إنه الضاحى يارجال.. كان بين أيدينا... الحقوا
بهما:

ولم يجدا مفراً سوى القفز من السفينة إلى الماء
الذى سترهما ظلامه الداكن، وظلا يسبحان فترة دون
هواة حتى أصابهما الإعياء.. فخرجا إلى البر والليل
والأعشاب البرية تسترهما...!

- يا إلهى.. يا إلهى... أنت السبب يا مؤمن.. أنت
السبب.

- معذرة يا ضاحى.. أنا أعتذر بكل سبيل.. لكن...
ماذا تقول لإنسان لم يتعود من قبل على الكذب

وأداء الأدوار التمثيلية.. نسيت للحظة أننى أمثل..
وأحسست بخيبتى بعد أن دمرت اللعبة كلها.

- لا عليك.. فكر معى الآن فى العمل مع هذه
المشكلة.. لا ولن نتمكن من العودة للسفينة..
ولابد أنهم الآن فى أثرنا.

كان الجو فى الليل شديد البرودة... وبدأ المطر
يهطل، فالشتاء ساجتها فى أوجه:

- اسمع يا ضاحي.. ألم تقل أن معك من المال
الوفير..

- نعم والحمد لله.

- إذًا.. فلنسابق الريح إلى البلدة القادمة.. ومنها
نستأجر قاربًا شرعيا صغيراً... يكون أخف

وأسرع من السفينة التى ستبحر فى الصباح،
وبذلك نصل إلى الصعيد قبلهم بأيام... وترى
والدتك قبل أن يأتوا.

- نسيت شيئاً مهماً.. ضاعت الأدوات التنكرية فى
الماء أثناء المطاردة.

- لا عليك.. أنا عملت حسابى لهذا الظرف.. ومعى
فى جيبى لحيتان وما زالت ملابسنا علينا.. وأى
عصا من أغصان الشجر تفى بالأمر.
- أنت داهية يا غلام.. هيا بنا.. أسرع.

وأخذا يجريان بأقصى سرعة... ولم يعرفا أن
رجال الضوى تركوا السفينة واستأجروا قارباً خفيفاً

للبحث عنهما... فلما وصلا إلى القرى التالية نجحا
 فى استئجار قارب وانطلقا به نحو الصعيد... لكن
 بعد ساعة والصباح يلوح فى الأفق كان قارب رجال
 الضوى يطاردهما بسرعة:

- يا إلهى.. فشلت الخطة يا مؤمن.. إنهم فى أثرنا.
 - لا تقلق.. إنه سباق إدًا.. نحن أخف منهم.. هم
 كثر على القارب.. ونحن اثنان فقط.. نحن
 نسبقهم بإذن الله.

كانت الرياح فى الصباح شديدة... والقاريان فى
 سباق محموم.. والمطر يزيد الطين بلة.. وكان مؤمن
 يحسن قيادة القارب بما لديه من خبرة فى ذلك،
 وبعدت المسافة بينه وبين قارب رجال الضوى حتى



اطمأنا تماماً.. وانتصف النهار وانقشعت السحب
وتسيدات الشمس فى كبد السماء .. وارتفعت
الحرارة... وكسلت الرياح تماماً حتى كأنها ماتت..
فلم يعد القارب يتقدم لأى من الفريقين.. وعادت
المواجهة تقترب.. والهدنة تنذر بالخطر:

- أنزل الشراع يا ضاحى.. أنزل الشراع ولنستعمل
المجدافين.

واختل ميزان التفوق.. فمؤمن وضاحى يجدفان
ضد عصبية من الرجال يجدفون، فاقتربوا منهما...
حتى أن الرجال الذين لا يملكون مجاديف.. كانوا
يجدفون بأذرعهم:

- مؤمن.. إنهم يقتربون بسرعة يا مؤمن.. لقد ضعنا

يا صديقى.. الوداع يا مؤمن، كان مؤمن يجذف بأقصى سرعة.. ويتجه إلى شعبة تشعبت من النهر الكبير:

- إلى أين يا مؤمن.. إلى أين تذهب بنا؟!..
- سلكت النهر فى مغامرات كثيرة من قبل.. وأعرف طريقى جيداً.. تشبث جيداً يا ضاحى.. نحن مقدمون على شلال عال.. نحن الأخف وزناً.. وسننجو بإذن الله، ولم يحد رجال الضوى عن المطاردة... واقترب الشلال... وصرخ ضاحى وهو يتشبث بالقارب الذى هوى مع شلال متوسط الارتفاع.. وحاول رجال الضوى باستماتة حتى استطاعوا الهرب من الشلال والعودة إلى المجرى

الطبيعى للنهر.. واستطاع مؤمن بذلك أن يسلك طريقاً مختصراً وعاد مع المخاطرة لمجرى النهر.. فكسب مسافة كبيرة.. وجن جنون الخصوم... وعادوا يضربون الماء بأيديهم ومجاديفهم للحاق بطريدهم الشاردة:

- مؤمن.. لا داعى يا مؤمن لكل ما نفعله.. سيلحقون بنا فى النهاية.. وأرى أن ..

- ترى ماذا.. العدو خلفنا يا ضاحى... لو توقفنا لقتلوك وحملوا جثتك إلى القرية... فإن كنت مستسلماً للموت بهذه السهولة.. فعلى الأقل بعد أن ترى أمك يا أخى... ألا تريد رؤيتها قبل الموت يا ضاحى.

- وما ذنبك أنت في هذا الشقاء.

- ليس ذنباً... إنما على المؤمن أن يعين ذا الحاجة والملهوف.. وأن يعمل على تفريج كربة أخيه المؤمن.. ثم إنها مغامرة... وأنا أعشق المغامرات.

وبعد ساعات خارت قوى الفريقين.. وخوت بطونهم.. وتوقفوا عن المطاردة، وتوقف القارب عن بُعد عن الآخر.. وكلاهما ينظران شذراً.. وجلسوا يتناولون الطعام.. وكلما حاول قارب الضوى الاقتراب... ابتعد قارب مؤمن... وظلوا هكذا إلى أن غابت الشمس.. وفُردَت الأشرعة من جديد لترك للرياح الخفيفة مهمة الدفع بدلاً من المجاديف.. لكن التقدم كان بطيئاً:

- مؤمن.. سأنام قليلاً ثم أقوم لك حتى نحصل على بعض الراحة.

وهكذا كان رجال الضوى يتناوبون النوم.. فالمطاردة الشاقة حرمت الجميع من النوم لعدة أيام... وقام ضاحى بعد ساعتين ونام مؤمن.. واتسع مجرى النهر كأنه بحر كبير.. ولم يدرك ضاحى الذى يجهل الطريق أى اتجاه يسلك.. فدخل فى منطقة تعج بالتماسيح.. وتبعه قارب الضوى على غير هدى.. وبعد قليل قام مؤمن فزعاً على صراخ ضاحى والقارب يتخبط:

- النجدة يا مؤمن.. هناك شىء يخبطنا من أسفل.

- ما هذا.. أين نحن... لماذا جئنا إلى هنا... إننا فى بحيرة تماسيح.

- وما العمل .. ما العمل.
- ابتعد عن حافة القارب .. فلنلزم منتصف القارب ولن يضرنا شيء بإذن الله.
- القارب يهتز بعنف يا مؤمن ... سنقلب في الماء.
- لا تقلق .. ما دمنا نتقدم ولا نقف .. فلا خوف ...
- أما إذا انعدمت الرياح وتوقفنا فاستعد لحرب شرسة.
- وفجأة علا صراخ رجال الضوى .. فقاربهم ما زال يتقدم ببطء .. وهذا مكن التماسيح الكسولة من كيل الضربات لهم ... وضحك ضاحي:
- إنهم يصرخون يا مؤمن .. يا إلهي .. انظر يا مؤمن .. انظر.

خرج تمساح من الماء واختطف رجلاً من رجال الضوى، ثم حدثت مقاومة لفترة بسيطة.. وسكن الحال تماماً.. وافترست التماسيح جثة المسكين، وهذا مكن لمؤمن أن يتنفس الصعداء.. فكل التماسيح اتجهت بسرعة نحو الفريسة.. تاركة الطريق للقاربين للعودة إلى مجرى النهر بسلام:

- يا إلهي.. يا إلهي.. كان رجلاً...والآن رجلين.

- ماذا تعنى برجلين يا صاحي .

- سيلقون اللوم علىّ في مقتل الرجل الذي التهمته التماسيح.. لن أنجو من غضبهم.

- لا أعتقد أنهم سيلحقون بنا.. الرياح تشتد شيئاً فشيئاً.. وسنسبقهم.

- وكان ظن مؤمن فى محله.... اشتدت الرياح
وأصبحت عاتية... وكاد قاربه يطير من فوق الماء..
أما قارب الضوى الثقيل برجاله... فلم يعد
يقدر على اللحاق بهما... وابتهج ضاحى وصاح
فى مؤمن:

- لا أدرى كيف أعبر لك عن شكرى يا مؤمن..
أنت خير رفيق.

- بشىء واحد... أن تدعنى أكمل نومى يا ضاحى..
وإذا قابلك شىء فأيقظنى قبل أن تردينا مرة
أخرى.

ونام مؤمن نوماً عميقاً هذه المرة وقد ابتعد الخطر
تماماً.. وقام بعد ذلك لضاحى.. وهكذا حتى انقشع

الليل وأتى الصباح غائماً لا يكاد يختلف عن الليل..
ولا تزال السماء تمطر والبرق يومض والرعد يهز
الأرجاء:

- ماذا بقى لنا يا مؤمن حتى نصل إلى قريتنا.. فأنا لم
أسافر بالنهر من قبل.

سنصل فى هذا النهار إذا ظلت الرياح على
سرعتها ... ولن يصل رجال الضوى إلا بعد غدٍ
بإذن الله.

- وماذا بعد أن أرى أمى... هل أرجع إلى الشام مرة
أخرى.

- هذا كلام سابق لأوانه يا ضاحى .. فقد ننجح فى
جعل أمك تذهب معك...

واقترب القارب من القرية فى أقصى الصعيد..
والشتاء لا يرحب بالضيوف.. فالرعد المخيف لم
يعد يسكت والأعاصير تطوف بالحقول وتدمر كل
شئ .. والمطر قذائف ثقيلة لا ترحم.. وأخذ مؤمن
وضاحى بالدلو يفرغان القارب من ماء المطر الذى
كاد يغرقه.

ورأى مع كل هذا ضاحى قريته من بعيد، فحاكت
عيناه السماء فى مطرها.. وتأثر مؤمن بهذا الحنين
للوطن.. ولكن برقًا خاطفًا لم يدع للحظات الشجن
أن يستمر، عندما ضرب القرية فأصابها بحريق كبير
فى لحظة:

- مؤمن.. أسرع يا مؤمن.. القرية... القرية تَحترق
يا رجل.

نزلا من القارب يجريان.. ونسيا حكاية التنكر..
أو أنهما قد اتفقا من قبل على أن يتنكرا فى زى
شيخين هرمين:

- اجر يا مؤمن.. القرية تَحترق.

- إنه حريق كبير.. لا يقدر حتى المطر على أن
يخمده.

ولما وصلا وهما يلهثان رأيا الحريق الكبير يلتهم

البيوت:

- أمى.. أمى يا مؤمن.. يجب أن ننقذها.

- أنت تعرف البيت.. أسرع بنا إليه.

كان أهل القرية فى ذهول شديد.. الكل يجرى هنا وهناك... ومع أن المطر يهطل، إلا أن البرق قد أعاد ضربته مرة أخرى.. مما زاد الأمر سوءاً على سوءٍ.

ووصل ضاحى ومؤمن إلى البيت.. وحمدا الله أن البيت سليم.. ولم يصبه شىء.

ودخل ضاحى على أمه فهشت له.. ولم تصدق نفسها.. وفرحت به أيما فرح... لكنها لم تطل الترحيب به وبمؤمن:

- لا ينبغي لك هذا يا صاحى.. اخرج وعاون الرجال
أنت وصاحبك.. القرية تحترق.

وكان رأى الأم سديداً.. انطلق صاحى ومؤمن..
يحملان جرار الماء من النهر إلى أيدي تنقلها
وتلقوها على الحريق هنا وهناك.

ويمكن الجميع من السيطرة على معظم الحرائق..
وأنت امرأة تصرخ فى الناس وتقول:

- النجدة.. النجدة أيها الرجال.. ابنى.. ابنى محاصر
بالنار فى البيت، وجرى الرجال ومعهم صاحى
ومؤمن إلى البيت الذى يقع فى آخر القرية...
بعيدا عن النهر ويحتاج إلى جهد ووقت كبيرين
لنقل جرة ماء واحدة.. وكثير من الناس مشغول

بحريق فى بيته أو فى بيت جاره، وصاح ضاحى
فى مؤمن:

- إنه بيت حافظ الضوى.. كبير عائلة الضوى الذى
كان يطاردنا ويسعى خلفنا.. والغلام الذى
حاصرته النار هو ابنه.. ابنه محمد.

- الوقت ليس لهذا الكلام يا ضاحى.. هناك غلام
بين النيران .

- وأنا معك.. لم أقصد يا مؤمن.. أنا معك.

وقف الرجال على شدتهم وكثرتهم ينظرون لبيت
حافظ الضوى والنار تحيط به من كل جانب وتخرج
من نوافذه وأبوابه.. وخشى أى واحد فيهم أن

يتقدم.. إلا (مؤمن وضاحي).. فقد كان مؤمن دائماً
يفكر.. ودائماً يجد -بفضل الله- وسيلة لأداء
مهامه:

- ضاحي.. لن يصلح دخول هذا البيت إلا من
أعلاه.. انظر لهذه الشجرة.. تسلقها خلفي.. ثم
نقفز منها إلى سطح البيت... هيا.

ووقف الناس كلهم وقد تجمعوا حول البيت
ينظرون لهما وهما يعلان شيئاً لا يخطر على قلب
شجاع منهم.

وتسلق مؤمن الشجرة وقفز فوق سطح البيت
وتبعه ضاحي... ونزلا من أعلاه إلى أسفله.. ولما

دخلا البيت وجدا النار لم تكمل تمامًا على
الحجرات.. بحثا في جو خائق وحرارة مرتفعة..
وشظايا محترقة تتطاير... عن الغلام محمد حافظ
الضوى.. حتى وجدوه مختبئًا في ركن يكي
والنيران تحيط به من كل اتجاه.. وكان الضاحي أسرع
من مؤمن.. وألقى بنفسه في النار وجرى إلى الغلام
واحتضنه وعاد يجرى به إلى مؤمن.. الذي اغتبط
لذلك... وأسرعًا يصعدان السلم إلى السطح قبل أن
تلتهمه النيران.. وقفز مؤمن إلى الشجرة.. وألقى
ضاحي إليه بالغلام... وعندما أراد الضاحي أن يقفز
إلى الشجرة.. سقط به سطح البيت إلى الداخل
التقط الناس الغلام من مؤمن الذي عاد وقفز إلى

البيت لينقذ صاحبه.. فوجد النار قد اندلعت فى
ملابسه.. فتناول بساطاً من الأرض بسرعة وأحاطه به
حتى لحق به قبل أن يحترق... ولم يعد لهما سبيل
للخروج غير طريقة واحدة:

- انظر إلى هذه النافذة المشتعلة يا ضاحى.. امسك
بيدى ... هه.. أفهمتنى.

وجريا بأقصى سرعة ثم قفزا وسط النار قفزة
كبيرة فأصبحا فى الشارع فى أمان.. وأخذ الناس
يهللون لهما.. وفرحت أم محمد بنجاة ابنها وأخذت
تدعو لمؤمن وضاحى.. ومع ذلك.. ظل الجميع حتى
آخر النهار يعالجون الحرائق هنا وهناك.. حتى جاء
الليل وقد عاد كل شىء لحاله.. وتعجب ضاحى أن



كثيراً من رجال عائلة الضوى كانوا فى القرية.. لم يقترب منه أحد... ولم يحاول أحد قتله.. وعاد مع مؤمن إلى أمه:

- يا ولدى.. أهكذا.. لقد احترق جزء من كتفك..
لماذا يا ضاحى.

- قام ضاحى بعمل عظيم اليوم يا سيدتى.. كاد يموت فى سبيل الله.

- الحمد لله.

- افتضح أمرى فى القرية يا أمى.. وعرف الناس كلهم أننى قد عدت.. ولن يدعونى أفلت منهم بعد ذلك.

- اذهب يا ولدى.. اذهب واهرب من جديد.. لا
تبیت هنا الليلة.

وهنا تدخل مؤمن وقال:

- أرى أن يظل الضاحى فى القرية... وأعتقد أن
أحدًا لن يقدم على أذاه ودار نقاش طويل...
وأحس الضاحى فى الصباح أن رجالاً يراقبون
الدار باستمرار فلم يعد قادرًا على الخروج:
- رأيت يا مؤمن.. لقد حاصرونا.

ودخل أحد جيران ضاحى من أصدقائه القدامى..
وعانقه عناقًا طويلًا.. ثم قال له:

- عائلة الضوى لن تدعك تخرج من بيتك يا ضاحى
إلا بعد عودة حافظ الضوى.. كبيرهم..

- إذا يمهلوننى يوماً آخر قبل أن يقتلونى .

أخذت أم ضاحى تبكى ومؤمن يهدئ من روعها.. ويحاول أن يطمئنها.

ومرت الساعات.. والأمل فى الفرار ينعدم...
ويزداد المراقبون حول البيت.. ومؤمن لا يبدو عليه
القلق:

- أرى أنك هادئ البال يا مؤمن.

- أشعر بأن الفرج قد اقترب.

ومرت الليلة فى جو عصيب.. فالشار عند أهل
الجنوب عادة سيئة.. يذهب بسببها رجال وشباب
بغير وجه حق.. ويؤجج بها الشيطان العداوة بين

العائلات.. فقد تجمعت عائلة الضاحى لما رأوا من حصار عائلة الضوى ودخلوا كلهم إلى الضاحى حتى ازدحم بهم البيت.

- لن ندعهم يقتلونك يا ضاحى... سنقاتلهم.. ولتكن مجزرة.

وعلى هذا التهديد ازداد تجمع الرجال من العائلتين.. وانحاز أهل القرية كل إلى فريقه.. ونعق غراب الشيطان بالفتنة... واضطر مؤمن إلى الخروج لمقابلة عائلة الضوى وتهدة الحال.. ففوجئ بقارب الضوى يصل إلى النهر ويهبط منه الرجال فى شدة الغضب والحنق يحملون السيوف، فجرى مؤمن منصرفاً إلى جهة يعلمها.. واندفع أهل عائلة

الضاحى ومن معهم.. وتقابل الفريقان وتأكد لحافظ الضوى وجود الضاحى بالقرية.. وأصبحت المواجهة الدامية بين الفريقين قاب قوسين أو أدنى.. وعندما ارتفعت السيوف والنبايت، إذا بمؤمن يأتى حاملاً الغلام محمد الضوى.. يدخل ويقف فى المسافة بين الفريقين.. وتقدم لحافظ الضوى وقال له:

- قبل أن تشعل نار الحرب... وترىق الدماء يا سيدى... أسألك سؤالاً واحداً.. وعلى إجابتك يتحدد مصير القرية ومصير الضاحى.

- تفضل.. ولكن دع ابنى من يدىك.

وهنا صاحت أم الغلام ونساء القرية يقصون على حافظ الضوى قصة ضاحى عندما أنقذ الغلام محمد

وكاد يموت بسببه.. فتأثر الرجل ولانت عريكته..
فاستغل مؤمن الفرصة وسأله:

- ما هو أفضل لديك... لو مات ضاحي فمن كان
سينقذ ولدك من النار.. هو الذى اندفع فى النار...
ناسياً ما بينك وبينه من عداوة وثأر، وعرض حياته
للخطر من أجل إنقاذ ولدك.. فلو كنت قتلتـه..
فمن كان سينقذ الغلام وكل رجال القرية قد
عجزوا عن ذلك.. فهل تختار.. أن يموت ابنك
والضاحي.. أو أن يحيا ابنك والضاحي؟

ساد صمت مطبق وتعلقت الأنظار كلها بلسان
حافظ الضوى الذى احتضن ابنه وضمه إلى صدره
وبكى شفقة عليه.. ثم اعتدل وقال:

- لئن يعرّض الضاحى حياته للخطر من أجل ابني... فقد سكب بحراً من الماء على نيران الغل التي كانت في قلبي فأطفأها.. لذلك... أشهدكم يا أهل القرية.. أنني عفوت عنه.. وأنتى بصفتى كبير عائلة الضوى.. أمد يدي بالسلام لعائلة الضاحى.. فهل يقبلونها.

وإلى هنا.. تعانق من كانوا منذ دقائق على وشك الاقتتال.. ومات الشيطان كمدّاً وغيظاً.. فقد عاد السلام بين الإخوة والجيران.. وانتهى الثأر ولعنته قد ذهبت.. وابتهج الناس لذلك.. ونسوا ما فعله الحريق بهم.. فعلقوا الزينات وأقاموا الأفراح.. وعاد ضاحى لأمه.. يعيش معها فى أمان. وعندما أراد مؤمن



الرحيل جرى خلفه وعانقه وشكره... وأعطاه
جوهرة نفيسة:

- علمتنى أشياء كثيرة يا مؤمن.. وجعلتنى شجاعاً..
أتقى الله.. وأصلحت حياتى.. وحياة أُمى...
وحياة قريتنا.. لذلك أهبك هذه الجوهرة.. إنها
هدية أهداها لى ملك الشام.. إنها لا تقدر بثمن..
لعلها تكون ذرة فى معروفك الكبير.

- السلام عليك يا أخى الحبيب... فى رعاية الله.

تمت بحمد الله تعالى
